أفعال الكلام- عند أوستينAustin- في الشعر الجزائري
"دراسة حجاجية".

د. خديجة بوخشة

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل.

-الملخص

الحجاج فعل كلامي تتم دراسته في نطاق اللغة؛ لأن نظرية الحجاج في اللغة امتداد وتطوير لنظرية الأفعال الكلامية؛ حيث تنحصر وظيفة الحجاج كفعل كلامي في دلالة الأقوال على التوجيهات الحجاجية الناتجة عنها.

يدرس هذا البحث أفعال الكلام عند أوستين وتطبيقاتها على الشعر الجزائري الحديث، بالتركيز على البعد الإنجازي والتوجيهي؛حيث يسعى إلى استنتاج القيمة الحجاجية للفعل الإنجازي ومدى تأثيره على المتلقي، ورصد القوة الإنجازية التي يحققها الفعل الكلامي، واستكشاف التأثيرات التي تحدثها في المتلقي المباشر أو المتلقي الكوني -حسب القصيدة الشعرية وما حققته في زمنها بمراعاة الشروط التداولية لنجاح الفعل الكلامي من متكلم ومتلقٍ وسياق وزمان ومكان- حيث تكمن حجاجية الفعل الكلامي في القدرة على توجيه المتلقي وإقناعه ومن ثم دفعه إلى الإنجاز والفعل.

- مفهوم الأفعال الكلامية[1]: Les actes de langage وعلاقتها بالحجاج

كثيرا ما تعكس اللغة علاقات النّاس، وذلك من خلال الأفعال التي تنجزها بعض التلفظات التي تتيحها استعمالات اللغة، وعليه يمكن أن يُعرّف التلفّظ بوصفه «الفعل الذاتي في استعمال اللغة إنّه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته، وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة، ويرى بنفنيستBenveniste أنّ التلفظ هو موضوع الدراسة وليس الملفوظ»[2]، فلا يجب الخلط بين الملفوظ بوصفه الجزء المختص بالإنتاج الصوتي، وبين التلفظ بوصفه فعلا في السياق.

إنّ لحظة التّلفظ هي المرجع للوصول إلى مقاصد المتكلم، ولهذا يجب الرّبط بين الفعل اللغوي والزمن الذي أنتج فيه ربطا قويا وبين الزمن والمتكلم، فمرجع الأداة التلفظية "الآن" هو لحظة التّلفظ بها، لكن يصعب

1-تُرجِم مصطلح speech acts الذي وضعه Austin إلى مصطلحات مختلفة، فقد ترجمت إلى اللغة العربية بأفعال الكلام، يُنظر: جون لانكشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991، وطالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت 1994، ومسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي دار الطليعة للطباعة والنشر)... وترجمها علي محمودحجى الصراف، بالأفعال الإنجازية، يُنظر كتابه: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة 1431ه-2010م ط1. كما تُرجمت بالأعمال اللغوية يُنظر صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول 2008، دمشق ص76. وترجمت بالأفعال اللغوية، ينظر: دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص7. ويقابل مصطلح speech acts في اللغة الفرنسية: les actes de langage - les actes de paroles - les actes de discours، يُنظر نفسه والصفحة نفسها.

2- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط 1986، ص07.

تحديد هذه اللّحظة تحديدا دقيقا، فقد تدّل لحظة التلفظ على الامتداد في الزمن وهذا ما يدلّ على إمكانية «نقل المركز الإشاري إلى الإطار الزمني المكاني الذي يطلع فيه السّامع أو القارئ على النص»[1].

والتّلفظ هو الأساس الذي بنى عليه أوستينAustin نظرية أفعال الكلام Les Actes de Langage ومن بعده سيرلSearle"، فهو ممارسة يباشرها المتكلم ابتغاء إنجاز فعل محدد، ويشترط أن تكون ملائمة للسياق، فاللغة تمثل إنجازا وممارسة وفعلا حيث الأمر والنهي والإخبار والاستفهام وغيرها تمثل إنجازات لغوية، والملفوظ اللغوي يجسد هذه الإنجازات.

والمقصود من الفعل الكلامي هو«كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وعلاوة على ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية actes locutoires إلى تحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ) وغايات تأثيرية actes perlocutoires تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا؛ أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا ومن ثمة إنجاز شيء ما»[2]. فغاية الفعل الكلامي هو تحقيق التأثير والإنجاز.

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه "أوستين"Austin "في المحاضرات الإثني عشر التي ألقاها في جامعة "هارفارد" Harvard سنة 1955، ونشرت سنة 1962 في كتاب عنوانه " How

---

1 - براون ويول: تحليل الخطاب: ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود 1418ه، ص64.

2- مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1-1432-2011، ص51-52.

to do think with words"، والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1970 إلى "Quand dire, c'est faire"[1]. "كيفية إنجاز الأفعال بالأقوال"إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين في دراسة استعمالات اللغة، فتأسّست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، وطُوِّرت بعد ذلك من طرف "سيرل" "Searle".

تشكل نظرية أفعال الكلام ثورةً "ضدّ الفكرة القائلة أن وظيفة اللغة هي وصف العالم –الإيهام الوصفي- وأنّ كل الملفوظات التقريريّة تقوم على ثنائية الصدق والكذب، فالعكس من ذلك: إنّ وظيفة اللغة هي التأثير على الواقع، والسّماح لمن ينتج الملفوظات إنجاز هذا الفعل، وفي هذه الحالة لا تخضع الملفوظات الثنائية الصدق والكذب"[2] وهذه الأفعال الإنجازية تخضع لمعيار النجاح والفشل وليس الصدق والكذب.

وقد استفاد ديكرو Ducrot وانسكومبر Ancombre من خلال مؤلفهما الحجاج في اللغة L'argumentation dans la langue منأوستين Austin وسيرل Searle وغيرهما من أصحاب نظرية أفعال الكلام الذين اعتبروا القول إنجازا وليس إخبارا.

لقد تعمّق مفهوم الحجاج في الدرس اللساني عند ديكرو Ducrot، فإذا كان الحجاج عند بيرلمان Perelman وتيتكا Tyteca يكمن في الجوانب المنطقية أو الشكلية الموجودة في الخطاب فإنّ ديكرو Ducrot يرى أنّ الحجاج كامن في اللغة ذاتها، فهو تقديم للحجج التي تؤدي إلى نتيجة معينة فالحجاج «يكون بتقديم المتكلم قولا (ق1) أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر

1- voire Patrick charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VIème, P 16. - .

2 - Jaque Moeshler –Antonie Auchlin, Introduction à linguistique Contemporaine, Deuxième édition, Armande Colin/ Her –Paris 1997 -2000, p. 135.

(ق2) أو مجموعة من أقوال أخرى»[1]، والنتائج التي يؤديها هي في واقع الأمر إنجاز لفعلين هما فعل التصريح بالحجة وفعل الاستنتاج سواء كانت النتيجة مضمرة أو مصرحا بها. وفعل المقتضى الضمني هو جوهر العملية الحجاجية.

الحجاج عبارة عن علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجّة، لكن هذا العمل محكوم بقيود لسانية فلا بدّ من أن تتوافر في الحجة (ق1) شروط محدّدة حتى تؤدي إلى (ق2)، ولهذا فإنّ الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها، وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال، ولا بمعطيات بلاغية مقامية[2] ؛ لأنّ القول يتضمن في ذاته تلميحا يؤدي إلى تمييز حجاجي للقضايا التي ينشئها، ولا جرم أنّ هذا التمييز يمكن أن يتنوع من متكلم لآخر، وفق حالات الخطاب، إذ لا أحد يستطيع القول ما هي الخلاصة المقترحة أو المنفية من (ق) أي أنّ القيمة الأساسية للقول ترجع في جزء مهم إلى الاستعمال الحجاجي له[3].

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة عند ديكروDucrot وأنسكومبر Anscombre من داخل نظرية الأفعال الكلامية «فأضافت فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام تتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب

1- Ancombre (J. C.) et Ducrot (o.): L'argumentation dans la langue, P. 08.

2- ينظر شكري مبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم ص360-361.

3 -Ducrot Osswald: Les Echelles argumentatives, P. 16

بخصوص تناميه واستمراره، أما الاقتضاء فيرتبط بقاعدة التسلسل»[1]، فكل جملة تستلزم جملة أخرى وتؤدي إليها بواسطة رابط حجاجي، حيث إنّ«فهم الملفوظ يستلزم اكتشاف النتيجة التي قصد إليها المتكلم»[2]. ويكون هذا الاستنتاج والاستلزام الضمني على سبيل الاقتضاء.

يفرض فعل الحجاج نتائج معينة، فهي تلزمه سلوك طريقة وحيدة في الخطاب؛ لأنّ الحجاج هو تقديم الحجج المؤدية إلى نتيجة معينة «إنّه يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها أن كون اللغة لها وظيفة حجاجية؛ يعني أن التّسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع Les faits المعبر عنها داخل الأقوال فقط ولكنها محددة أيضا بواسطة بنية الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»[3]. حيث يتألف فعل الحجاج من الأسباب والنتائج والروابط، يصل إليه المتلقي عبر الاستنتاج والاستدلال.

ومعنى هذا كذلك أنّ عمليات الاستلزام الحواري التي يقوم بها المتلقي - والتي تنشأ بسبب مخالفة أحد قوانين الخطاب (المحادثة) الأربعة (الكم والكيف والعلاقة والطريقة) التي وضعها "بول غرايس Grice-هي في حقيقة الأمر عمليات استدلالية يقصد المتكلم من خلالها التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظره عبر تلك التسلسلات الاستنتاجية التي يقوم بها، والتي يوجهه إليها المتكلم. وهذا يظهر العلاقة الوطيدة بين المفاهيم التداولية خاصة

1- أحمد اتزكنرمت: الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتّى بن يونس، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص 153-154.

2- Ducrot ; les mot du discours , P. 12.

3 -أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة مجلة المنارة، الصفحة الثقافية الثلاثاء 5 ديسمبر http: //www. almanarah. com

(الاستلزام الحواري والفعل الكلامي غير المباشر والاقتضاء التداولي ومتضمنات القول)؛ إذ يربط بينها جميعا فعل التلميح والاستنتاج والاستدلال والفعل التأثيري وهذه الأفعال تُستخدم في الحجاج.

وقد ربط ديكروDucrot فعل الحجاج بفعل الاستنتاج Acte d'inférer ولا يقصد به«الفعل النفسي الذي يكمن في تأسيس اعتقاد حول بعض الإشارات، ولكنه فعل كلامي يستلزم فعلا كلاميا استنتاجيا في تحقيق إنتاج الكلام فالمتكلم (ل) حين يتلفظ بقول (ق) يقوم بفعل استنتاجي إذا قام في الوقت نفسه بالرجوع إلى معطى معين يقدمه كنقطة انطلاق لاستدلال سيؤدي إلى إصدار القول (ق)»[1].

وباتساع مجال الأفعال الإنجازية وسّع ديكرو Ducrot حقل التداولية المدمجة؛ حيث يرى «أنّ التوجيه الحجاجي لازم لمعظم –على الأقل- الجمل دلالتها تحتوي على توجيه مثل"بتلفظنا لهذه الجملة نحن نحاجج في صالح استنتاج معين»[2]. فحجاجية الفعل الإنجازي ترتبط بفعل التوجيه.

فالحجاج فعل كلامي يركز على العمليات الاستنتاجية التي يقوم بها المتخاطبون والاستنتاج استدلال ذهني من خلال افتراض مسبق، أو ما هو متواضع عليه بين المتخاطبين، يقول "ديكرو" Ducrot متحدثا عن مفهوم الافتراض المسبق: «هو العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام، هل أ؟ وإلى نفي لا أ"»[3].

---

1 - J. c. Anscombre et o. ducrot: l'argumantation dans la langue,p10

2 - صابر حباشة: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص حجاجية المفردة القرآنية نموذجا ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4، ص192.

3- Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, principes de sémantique linguistique, édition HERMANN, 2ème édition, Paris (1980) p. 81.

وأهم فرق جوهري يفصل بين الافتراض السّابق والأقوال المضمرة Sous-Entondus يتمثّل في كون أنّ الأوّل هو نتاج للسياق الكلامي، أي يمكن أن نستشفه من خلال الملفوظات ذاتها، أمّا الثاني فهو وليد الملابسات المحيطة بالعمليّة التواصليّة[1].

ومن أهم وظائف الفعل الكلامي التداولية وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية، حسب رأي أوستينAustin وسيرلSearle، وترتبط الوظيفة الحجاجية بالوظيفتين التأثيرية والإقناعية، وعليه يمكن الحديث عن حجاجية الفعل الكلامي المتعلقة بقيمتي النجاح والفشل على الأخص، والتي قيّد أوستينAustin بروزهما بالفعل التأثيري تحديدا، على أساس أنّ للكلام «قوّة بلاغية كامنة فيه، تتجلّى في حالة التلفظ به، وقوّة أخرى تأثيريّة على مستوى المتلقي تتجلّى من خلال الأغراض التأثيرية والنتائج المنجرّة عنها»[2].

ومفهوم الحجاج وثيق الارتباط بالفعل الإنجازي بين نفاذية الخطاب والاقتناع الفعلي، فالحجاج «بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما»[3]؛ حيث يقوم المتلقي بمجموعة من الاستدلالات والاستلزامات الحوارية من أجل الوصول إلى استنتاج قصد المتكلم الذي يدعوه إلى إنجاز فعل معين في سياق ما. ونجاح الفعل الإنجازي مرهون بالفعل التأثيري الذي يحققه من خلال الاقتناع الفعلي.

تصنيف أوستين"Austin للأفعال الكلامية: ترتكز نظرية "أوستين"Austin على فكرة الإنجازية، «فالمسألة التي ظلّت مرتبطة باسم أوستين Austin وهي

1- Voire, Oswald Ducrot, Le dire et le dit, édition de minuit, Paris (1984), p 34.

2- J. L Austin ; Quand dise c’est faire, introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970, p. 13/14.

3- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلد28، العدد3، يناير، مارس 2000، ص57.

الفاعلية أو الإنجازية performativité بعض الأفعال في اللغة المستعملة أو قل ما يستعمله اللسان ويسخّره في التخاطب بهذه الأفعال»[1]، ومفهوم القوة الإنجازية بمثابة الدعامة الأساسية التي قامت عليها نظريّة الأفعال الكلامية[2].

ومفهوم الإنجازية قائم على أنّ بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدّي أفعالا (مثل الوعد، التحذير...) ويحكم عليها بمعيار الفشل أو النجاح في الإنجاز، فالإنجازية «نوع من أفعال الكلام يُقصد بها الأعمال التي تُؤدّى بالكلام؛ أي تنفذ بنطقها؛ بل إنّ بعضا منها لا يتصور أداؤه وإنجازه بدون كلام أو نطق ومن ذلك بعض مناسك العبادات كتكبيرة الإحرام والتشهد يُراد بالأفعال الإنجازية تلك (الأعمال) التي يتم أداؤها، وعملها والقيام بها أثناء النطق بالأفعال اللغوية التي تدل عليها؛ أي يشير معناها المعجمي إلى أحداثها التي تؤدّى أو يحدثها المتكلم في أثناء نطقه بها ما لم تتدخل عناصر سياقية معينة تغير من معناها المباشر»[3]، فالفعل الإنجازي فعل نؤديه أو ننجزه أثناء النطق أو التلفظ به.

إنّ دراسة مفهوم القوة الإنجازية في مجال تحليل الخطاب هو محاولة للتّحقق من فعاليته، فالنص الواحد باعتباره سلسلة من الأفعال الكلامية المترابطة التي تؤدي أغراضا إنجازية ترتبط لتشكل فعلا كلاميا واحدا،

1- عبد الملك مرتاض: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته العدد العاشر، مركز البحث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر 2005، ص65.

2- Voire: F. Récanati: La transparence et l'énonciation, Edition du seuil, Paris (1979) P. 100.

3 - علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة 1431ه-2010م ط1، ص13.

وبذلك«يغدو فهم نص ما هو إمكان الإجابة عن سؤال تداولي هو: لماذا ولأي هدف أو غاية حجاجية تم إنتاج هذا النص»[1].

ينجح الفعل الكلامي في تحقيق التأثير والإقناع الذي يتوخاه المتكلم إذا«تعرّف المستمع على القصد الذي أُنجز من خلال الفعل، فالقصد مكون أساسي في مضمون التلفظات»[2]، فحتى تنجح المقاصد كأفعال إنجازية يجب انعكاسها على المستمع.

وفي مناقشته لنظرية أفعال الكلام يناقض ألان بيروندونير Alain Berrondonner فكرة أن نقول هو أن ننجز «انطلاقا من ضرورة التخلي عن مفهوم القول الفاعل، وتعليق القوة الإنجازية تسليما بأنّ الكلام نقيض الفعل»[3]؛ حيث يرى بيروندونير Alain Berrondonner أنه حينما نقول فنحن لا ننجز أو نفعل شيئا فالقول نقيض للفعل، ولكن ماذا لو كان القول طلبا أو توجيها، أو أمرا... ؟ ألا ينجرُّ عنه فعلا إنجازيا يضمره المتكلم في خطابه ويوجه به متلقيه إلى الفعل والإنجاز.

1-1 التمييز بين الأفعال الإنجازية والأفعال غير الإنجازية (الوصفية): قام أوستين"Austin بالتمييز بين العبارات الإنجازية والعبارات غير الإنجازية (الوصفية)[4] فوجد أنّ «قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه، من

---

1 - محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، ص103

2- يوسف السيساوي، المقاربة التداولية للإحالة ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432ه-2011، ص467.

3-Alain Berrondonner: Elément de pragmatique linguistique, p107-112 نقلا عن هواري بلقندوز "التداوليات النصية مقاربة في فهم الخطاب وتأويله" إشراف د/ أحمد يوسف أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2009-2010. ص180

4- يسميه علي محمود حجى الصراف: الأفعال الوصفية غير الإنجازية بالمنطوقات التقريرية أما الإنجازية فيسميها المنطوقات الأدائية، يُنظر كتابه في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص29.

أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات: أعتذر، إني متأسف... أما العبارات الإنجازية: أدعم رأيي، أتنبأ، أتوقع... وشرط العبارات الإنجازية هو ملائمتها للواقع (الإنجاز الحقيقي)»[1]؛ فالوعود مثلا تتضمن التزاما معينا من جانب المتكلم ينجزه عند قوله (أعد بذلك) هو في الواقع (يعد)؛ أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقوله، فالأفعال الإنجازية لا يحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ بل بالنجاح أو الفشل.

أما الأفعال غير الإنجازية (الوصفية) ف«تقال لوصف شيء أو تصويره أو سرد معلومات عنه؛ أي تتحدث أو تنقل تقريرا عن العالم، فإذا كان التقرير أو الوصف مطابقا حُكم على المنطوق بالصدق، وإذا كان غير مطابق حُكم على المنطوق بالكذب»[2]، ففي قولنا مثلا: "فلان طويل" فهو وصف تصويري للعالم، يُحكم عليه بالصدق أو الكذب تبعا لمطابقته للواقع أو عدم مطابقته.

ويرى بول ريكور Ricœur Paul أنه «قد يُدمَج الفعل بقطب الواقعة في جدل الواقعة والمعنى، لكن هذا الفعل أيضا يتبع قواعد دلالية تعرضها بنية الجملة، إذ يجب أن يعبَّر عن الفعل بصيغة ضمير المتكلم»[3]، والأفعال الإنجازية سواء أكانت أوامر أو رغبات أو أسئلة أو تحذيرات أو إثباتات، فضلا عن قولها شيئا ما، تنجز شيئا، وتترتب عليها آثار من خلال القول.

والجمل الإنجازية لا يقصد بها أن تخبر عن أمر ولا تبلغ معرفة عن حدث واقع، ففي جملة "قبلت الزواج" «إنّ المتكلم هنا لا يخبر بشيء؛ بل يحدث

1- ينظر أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 ص 100.

2- علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، ص32.

3- بول ريكور: نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2 ص41.

واقعا لا يتم إلا بلفظه»[1]؛ فالحدث الكلامي فيه هو الفعل الذاتي؛ و«يكمن القصد من الكلام في تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته، مما ينتج عنه تغييرا في وضع المتلقي والتأثير في مواقفه»[2]

لكن لاحظ أوستينAustinأنّ تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، ف«وجود ضمير المتكلم في الزمن الحالي المثبت، تبين أنّ هذا التقسيم غير جامع ولا مانع فهناك جمل لا تشتمل على هذا المعيار وهي إنجازية، وهناك جمل تشتمل عليه وهي وصفية»[3]، كما قسم الأفعال الإنجازية إلى صريحة وغير صريحة؛ فالإنجازية الصريحة يكون الغرض فيها صريح الدلالة، مثلا"أعدك" غرضها الوعد"، أما الأفعال الإنجازية غير الصريحة فدلالتها ضمنية، مثلا: "اسكتي أيتها الحمقاء" فلا يقصد منها الأمر؛ بل يدّل السياق على التوبيخ، وهذا ما جعله يميز بين جوانب الفعل الكلامي الثلاثة.

وهذا التمييز سيفتح الباب لتلميذه سيرلSearle فيما بعد ليقدّم تمييزا بين الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.

2-1- التمييز بين جوانب الفعل الكلامي الثلاثي: رأى أوستين Austin أنّ ما وضعه من شروط ليس كافيا للتمييز بين الأفعال الإنجازية (الأدائية) وغير الإنجازية (الوصفية)، أدّى به الأمر إلى التّمييز بين جوانب ثلاثة للفعل الكلامي الواحد هي:

1-علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ص31.

2 - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009 ص90.

3- علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي ص37.

أ- الفعل اللفظيActe locutoire

ب- الفعل الإنجازيActe Illocutoire

ج- الفعل التأثيري Acte perlocutoire. [1]

أ- الفعل اللفظيActe locutoire): وهو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات، فالنطق بالعبارة أو قولها هو فعل لفظي، وهو «فعل معقد مركب – فيما يرى أوستين- من ثلاثة عناصر تركيبية يمثل تنفيذ كل عنصر منها فعلا بذاته، هذه العناصر هي:

أ- الفعل التصويتي: ويتمثل في إصدار الأصوات المعينة من مخارج الأصوات المعينة من مخارج صوتية معينة.

ب- الفعل التأليفي: ويتمثل في إصدار متواليات الأصوات طبقا لنظام تأليف هذه الأصوات.

ج- الفعل الإحالي: ويتمثل في مراعاة ارتباط الوحدات التأليفية بالمراجع الخارجية للدلالة على معاني مخصوصة»[2]. وهذا معناه أن الفعل اللفظي هو نطق بعبارة لها المعنى والمرجع نفسه، فالفعل اللفظي يتألف من فعل تركيبي وفعل صرفي، وفعل صوتي، وفعل دلالي. ففي قولنا: السماء ستمطر، قمنا بفعل التلفظ من خلال إصدار أصوات وإخضاعها لنظام تركيبي معين وربط هذه الأصوات بالدلالة.

---

1 -يُنظر د محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص45-67، ويطلق على الأفعال الثلاثة تسميات عديدة من قبل الدارسين العرب، فيسميها د عبد القدر قنيني(فعل الكلام/قوة فعل الكلام/لازم فعل الكلام)"نظرية أفعال الكلام العامة ص113. ويسميها د صالح إسماعيل عبد الحق (الفعل التعبيري/والفعل الغرضي/ والفعل التأثيري)"التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفود ص184، 194، 203، ويسميها سيد هاشم الطبطبائي (فعل القول/الفعل المتضمن في القول/والفعل الناتج عن القول)، ويوافقه في ذلك د مسعود صحراوي"التداولية عند العلماء العرب ص41-42

2 -علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص41.

ب- الفعل الإنجازي Acte Illocutoire): والفعل الإنجازي هو الفعل الذي ننجزه بالقول (سؤال، أمر، تحذير، وعد... وغيرها)، وتتضح العلاقة بين الفعل اللفظي والفعل الإنجازي في أنّ الأول يتحقق في صوت وتركيب ودلالة، أما الثاني «فيتمثل في تحقيق ألفاظ أو تعابير لغوية تنطوي زيادة على ما يخوله مستوى الفعل اللفظي من دلالة على قوى إنجازية قد يمثلها الإخبار، أو الاستفهام، أو غير ذلك، هذه القوة الإنجازية هي التي تمثل القصد التداولي من تحقيق الفعل اللغوي، وبهذا يكون الفعل الإنجازي هو الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال»[1]. فالفعل الإنجازي هو الغرض الذي يحمله القول قد يكون أمرا، استفهاما، تحذيرا، ولا يقصد منه وصف العالم ولا يحكم عليه بالصدق أو الكذب؛ بل بالنجاح والفشل.

وهناك شروط يجب على المتكلم تنفيذها من أجل أداء الفعل الإنجازي:

أ- أن يؤدي الفعل اللفظي؛ أي أن ينطق أو يستعمل الجملة المحتوية للفعل.

ب- أن يقصد بالجملة المنطوقة امتلاك القوة الإنجازية المعينة.

ج- أن يتأكد من فهم المتلقي الغرض المقصود.

د- أن يستوفي أعرافا معينة تحدّد ممارسة الفعل. [2]

فالفعل الإنجازي مبني على المواضعة والاصطلاح، يشترط على المتكلم التلفظ بالقول الذي يحمل قصدا معينا، مع مراعاة وصول المتلقي للقصد.

فلضمان نجاح الفعل الإنجازي شروط تكوينية تتعلق بوجود إجراء عرفي مقبول، يكون هذا الإجراء متلفظا، وصحيحا وكاملا، يؤديه متخاطبون مؤهلون للتنفيذ، بالإضافة إلى شروط قياسية مرتبطة بصدق نوايا والأفكار والمشاعر لدى المتكلم[1].

1- نفسه، ص42.

2 - يُنظر: علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص42-43.

وأن يؤدي المتكلم فعلا إنجازيا معناه أنّه في حالة قوله كذا فقد حقّق إخبارا، أو وعدا، أو تحذيرا... وهذا ما يؤكد تعالق الفعل اللفظي بالفعل الإنجازي، فلا يمكن إنجاز الفعل إلا من خلال النطق به.

ويتأسس الحجاج في« الفعل المتضمن في القول وفي سلسلة الاستدلالات الدلالية والتي لا يتشكل فيها المعنى بناءً على الروابط المنطقية فقط؛ بل على التلفظات وآداء الأفعال المتضمنة وإنجازها ضمن الخطاب»[2]؛ حيث يتم تأويل الأقوال عبر تحديد الدلالات والمقامات التي ينتجها الفعل الكلامي؛ أي أغراض الكلام ومعناه ومسار تحول المعنى من التلفظ إلى الإنجاز.

يشكل الفعل الإنجازي حجةً تدفع المتلقي أو السامع للتغيير من موقفه أو تعديله، فيصبح موقفه متصلا بذلك الفعل المنجز بالقول؛ إذ هو في الحقيقة رد فعل له، أو أثر ناتج عنه.

ج- الفعل التأثيري: Acte perlocutoire): ويقصد بالفعل التأثيري الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه، كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء... وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد، كما أن الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق، إذ يمثّل الفعل التّأثيري الشّاهد على أنّه بواسطة تلفّظنا للقول تمّ تحقيق الفعل الإنجازي، حيث يظهر في الآثار التي يحدثها القول على المتلقي من تغيير في الرأي أو في السلوك.

1- ينظر محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر2002، ص44.

2 - عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 1430ه-2003، ص74.

وقد تحدّث كلاوس برينكر عن وظيفة الاستثارة قائلا «يُفهم الباث المتلقي أنّه يحثه على أن يتخذ موقفا محددا تجاه شيء ما (التأثير في الرأي) أو أن ينجز فعلا معينا (التأثير في هذه السلوك)، يمكن أن توضّح الوظيفة الاستثارية بالعبارة المفسرة الآتية أنا (الباث) أطلب منك (المتلقي) أن تتخذ موقفا /رأيا س/ أن تنجز الفعل /س/»[1]. فحين يتلفظ المتكلم بقول معين، يكون قد أنجز فعلا، يؤثر به على المتلقي مثل جعله يقوم بفعل ما أو الاقتناع بفكرة أو اتخاذ موقف.

ونظر أوستينAustin إلى الفعل الكلامي من خلال ثلاث زوايا: التلفظ، الإنجاز والقصد؛ ففعل التلفظ هو فعل الكلام أو مخارج الحروف المادية، أما فعل الإنجاز فيعني مقاصد العبارة أو قوة فعل الكلام، ويتعلق الفعل التأثيري بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة أو لازم فعل الكلام. وهذا ما يمدّنا بمناهج للتعامل مع نصوص من الشعر الجزائري بالبحث في التقنيات الفكرية والاجتماعية التي يسعى الشاعر إلى تمرير الخطاب، وتعدّي الفعل إلى الحدث والتغيير والإنجاز، وتتأكّد نفاذية الخطاب بحصول الفعل التأثيري والاقتناع الفعلي (المنجز أو لازم فعل الكلام) الذي جاء به أوستين Austin ولإحداث هذا التغيير ينبغي على المتكلم أن يكون مقتنعا بفرضياته المقدمة حتى يحدث التغيير في متلقيه ويقنعه بأطروحته.

ويستمد الخطاب نفاذيته من تقنيات تجعل الخطاب منسجما مع المخاطبين، والشّرط الرئيس فيها هو معرفة مستوياتهم، وعلى المحاجج أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها، وكذلك الوعي بنوعيتها، فالاهتمام هنا إذن مركز على الجوانب الاستدلالية التي تستعمل على تعاضد

---

1 - كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه وعلق عليه ومهّد له: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1425-2005 القاهرة ص143.

العقول المخاطبة وانسجامها في الطرح المقدم[1].

يسعى فعل الحجاج إلى تحقيق الإقناع والتأثير، وإن كان المتكلم ينتزع موافقة المتلقي أو إقناعه، فإنّه يقوم بذلك بعيدا عن العنف والإكراه، ولا يعبر عن نتائجه بالصحة أو بالخطأ؛ بل بالقوة والضعف في التأثير فمعيار الصحة هو قوة الإقناع، كما تتعدّد الأفعال الإنجازية الحجاجية فقد تكون مباشرة وصريحة من خلال عرض المقدمات والنتائج، كما قد تكون مضمرة تقود المتلقي إلى استنتاج النتائج بالتلميح دون التصريح.

يرى بروندوير Brendonner أنّ «كل فعل كلامي هو تحقيقي لذاته ولمجرد كونه إنتاجا كلاميا في حين أنّ القيمة التأثيرية تختص بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليا بواسطة التكلم وحده»[2]. فالفعل الكلامي هو فعل النطق أو التلفظ؛ إنه تحريك لأعضاء التصويت، والتحقيقي هو كل نطق بالكلام حيث أن السلوك اللغوي تأثيري، ومن هنا فإن اللغة نشاط اجتماعي تفاعلي ذات بنية حجاجية خاصة إذا اقترنت بغرض التأثير؛ لذلك فإن الحجاج يستند إلى الأفعال الكلامية لتحقيق التأثير على المتلقي سواء أكان هذا التأثير في سلوكه أم معتقده وفق ما يقتضيه الموقف التواصلي.

وفي هذا الصّدد يرى جورج مولينيه أنّ«الفعل الكلامي الذي يتّسم بكونه أدبيا هو "تأثيري"، أو لا يكون شيئا. فالأدبية هي إنجازية performativité مطلقة للغة؛ إذ تتحول إلى وظيفة شعرية؛ أي أنّ الفعل الخلّاق لشيء لغوي يكون هو نفسه مرجع هذا الشيء»[3]. وهذا يحيل إلى علاقة التداولية بالأدبية

---

1 - ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ص18.

2- جورج مولينيه: الأسلوبية ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1427ه-2006، ط2، ص160.

3- نفسه، ص160

من جهة وبالأسلوبية من جهة أخرى، وإذا لم يكن الفعل الكلامي الأدبي تأثيريا إنجازيا فليس أدبيا.

ومن هنا فإنّ الحجاج يندرج في صميم نظرية أفعال الكلام، فالحجاج مرادف للفعل التأثيري، فهو يهدف إلى إحداث تغيير في موقف المتلقي، والفعل الحجاجي متعلق بمقصدية المتكلم وناتج عن علاقة تلازمية بين الأفعال الكلامية، والأفعال الكلامية تؤدي دورا حجاجيا من خلال اقترانها بالإثبات والإنجاز والتأثير، وهذا ما سنوضحه أكثر من خلال الحديث عن تصنيفات أفعال الكلام.

2 - أقسام الأفعال الكلامية حسب أوستينAustin: يقترح "أوستين" Austin خمسة أقسام للأفعال الكلامية:

2-1 الحكمياتVerdictifs: يرى أوستين Austin أنّ فعل الحكم «يختص بكونه ناتجا عن إصدار حكم في المحكمة سواء أكان ذلك الحكم من هيئة قضائية أم من محكّم تختاره الأطراف أم من حكم الملعب مثلا، غير أنه ليس من الضروري أن تكون هذه القرارت نهائية، فقد يكون الحكم مثلا تقديريا أو على صورة رأي، أو تقييميا»[1]. ومن أمثلة أفعال الأحكام: أعطى رأيا، شخّص، فهم أثبت، وصف، تأوّل، وصف.

يقول محمد العيد آل خليفة: [2]

أَرَى حَظَّ أَرَاذِلَ النُّفُوسِ مُوَاتِيَـــا وَحَظُّ كَرِيمِ النَّفْسِ غَيْرَ مُوَاتِي

فَأُوجِسُ فِي نَفْسِي مِنَ الدَّهْرِ خِيفَةً لِعِلْمِي بِـأَنَّ الدَّهْرَ ذُو غَـمَرَات

أَرَى الكَوْنَ قُرْآنًا مِنَ اللهِ مَنْـــزِلًا عَلَى الرُّوحِ والأَحْدَاثِ آيٍ عِضَاتِ

1- أوستين نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات ترجمة عبد القادر قنيني ص92.

2 - ديوان محمد العيد آل خليفة، ص10.

والشاعر يصدر أفعالا حكمية لكونه يعطي رأيه ويشخصه، والملاحظ أنّ أفعال الحكميات تتداخل مع الإيضاحيات (العرضيات) كونها أيضا تحمل الملاحظة والتشخيص.

2-2 التنفيذيات Exercitifs: وتقضي التنفيذيات «بممارسة السلطة والقانون والنفوذ ومن أمثلة ذلك: التعيين في المناصب والانتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكرات وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النصح والتحذير وغيرها»[1]، مثل: أمر، اختار، حذّر، نصح، استعطف، صرّح، سمّى، توسّل... وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

ومن أمثلة الأفعال التنفيذية قولرمضان حمود: [2]

دَعُوني فَمَا المَجْدُ إلا العَنَا وخَوْضُ الجَلائِل عـند الطِّلاب
فلَيْسَت تُنَال العلا صُدْفَةً ولَكِنَّـــــهَا بِرُكُوبِ الصِّعَاب
دَعُونِي أُنَاضِلُ عــن أُمَّةٍ تَوَارَتْ حُــقُــوقٌ لها بــالحِجَاب
دَعُونِي أُنَاضِلُ عــن أُمّةٍ تَــوَارَتْ فَضَائِلُهَا بَيْنَ ظُفْرٍ ونَاب

يُصدر الشاعر أفعالا تنفيذية؛ حيث يأمر المتلقي أن يتركه يعاني الصعاب من أجل نيل العلا والمطالبة بالحقوق، وهو في حقيقة الأمر فعل كلامي غير مباشر يقصد به استنهاض همة المتلقي وتحريكه للنضال(إنه فعل توجيهي حجاجي)، وقد أدرج فعلا عرضيا توضيحيا في البيت الثاني، عن طريق النفي قصد إثبات فكرته، بالإضافة إلى فائدة التكرار الحجاجية.

وظف ابن رحمون الأفعال التنفيذية في قوله: [3]

ذِكْرَى لَكُمْ بِمَعَانِي المَجْدِ حَافِلَةٌ فيهَا يَـا بَنِـي الإسْلامِ مُعْـتَبَرُ

1- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات ص93.

2 - محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص355.

3- ديوان ابن رحمون: شعراء الجزائر مركب مطبعة الرغاية الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980، ص14.

مِنْهَا أُقَدِّمُ نُصْحاً يَـا بَنِي وَطَـني مِنَ العَقِيدَةِ والإِحْسَاسُ يُعْتَصَرُ
لا تَجْعَلُوا أَمَـلَ الأَحــرَارِ مَـهْزَلَةً فالقَوْمُ مِنْ يَأْسِنَا واللّهِ قدْ سَخِرُوا

ففي خضم حديث الشاعر عن مؤامرة المشركين ومكرهم وإنقاذ الله للرسول "صلى الله عليه وسلم" في الهجرة...يقدم الشاعر نصحه لشعبه مستلهما من العقيدة (أقدم نصحا)، ثم يقدم فعلا تنفيذيا آخر يقصد من خلاله التوجيه عن طريق النهي (لا تجعلوا أمل الأحرار مهزلة) أي عدم الاستخفاف بأمل نيل الحرية.

ويقول رمضان حمود: [1]

لا تَفْتَؤُوا طَالِبِينَ المَجْدَ أَنْصَحُكُمْ فـالمَـرْءُ قَهْـرًا عَلَى مَـا هُـوَ يَتَـطَبَّع
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَامُوا فَتَهْلِكُوا وَمَـنْ يَغْتَرِرْ يَـوْمًـا لاَبُدَّ أَنْ يُكَـبُوا
ولَيْسَ قَبِـيحًا أَنْ يُـقَالَ كَبَـوْتُمُ ولكِن ضُعْفُ النَّفْسِ جُـبْنًا هُوَ العَيْبُ
ومَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الرَّدَى بِنِضَالِـهِ سَيَشْكُو الأَذَى والدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهِ يَجْرِي
شَرُّ البِلَادِ، بِلادٌ خَـافَ سَاكِنُهَـا مِـنْ جَمْرَةِ الجُورِ أَوْ مِنْ فَتْكَةِ السّفَلِ

يظهر الفعل الكلامي التنفيذي في قول الشاعر (أنصحكم) فهو ينصح متلقيه على طلب المجد، حتى يصبح طلب المجد لديه طبيعة وعادة. وفي قوله (أخاف عليكم) يحذره الشاعر من النوم لأنه يقود إلى الهلاك.

2-3- الوعديات Promissifs: يقول أوستينAustin «إنّ النقطة الأساسية في التعهّد هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرّف أو نشاط معين»[2]؛ لأنّها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل"الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية، التصميم، التخطيط...ومن هنا فإن درجة هذه الأفعال الإنجازية تختلف بين القوة كالوعد، وتضعف قوة حينما يقوم المتكلم بإظهار النية بفعل

1 - محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب ص45.

2- أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة ترجمة عبد القادر قنيني ص179.

ما. يقول رمضان حمود[1]:

إنّ نَفْسِي إِلَى المَكَارِمِ تَصْبُو ولَهَا فِي سَمَا البَيَانِ هُيَامُ
وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارَا تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

فالشاعر يظهر نيته بأنّ نفسه تصبو إلى المكارم، وهذا الفعل يدخل ضمن الوعديات؛ لأنه يلزم نفسه القيام بالمكارم.

يقول السعيد الزاهري[2]:

أُرِيدُ مِـن الأَيَامِ مـا لا تُطِـيقُهُ وأَقْصِدُ مِنْهَا مَا لا يَقْصِدُهُ الشَّاهُ
ومَنْ يَرْكَبِ العَزْمَ الجَدِيدَ فَإِنَّهُ يَهُـونُ عَلَيْهِ أَنْ يُـحَصِّلَ مـرْمَـاه
وَمَنْ كَانَ فِي أَعْمَالِهِ مُتَكَاسِلاً فَسُرْعَانَ مَا يَكْدِي وَيُخْفِقُ مَسْعَاهُ

ويقول: [3]

هَمِّي مِـنَ الدُّنْيَا بَـعِـيدُ والدّهرُ جَـبَّارٌ عَنِـيـدُ
أَسْعَى مِـن الـدُّنيـا لِـما يسْعى له الشَّهْمُ الحَدِيدُ
ورَكِبْتُ عَزْمًا لَوْ رُكُو بُ العَـزْمِ فِي الدُّنْيَا يُـفِيدُ
لَكِـنَّهَا هـذِي الحَـيَاة زِمَامُـها بِيَدِ الجُـدود

تدخل هذه الأفعال الكلامية في إطار الوعديات؛ لأنّ الشّاعر يبين نواياه ومقاصده، بأنّ مقصده نبيل بعيد فله عزيمة كبرى في هذه الدنيا، ومن السهل على صاحب العزيمة نيل مرماه، أما المتكاسل فلا يمكنه ذلك، غير أنه لم يتحقق مأربه، فالعزم لا يفيد؛ لأنّ الدهر جبار عنيد، والحياة بيد الحظوظ. لذلك كانت درجة الوعد أو الالتزام ضعيفة.

1 - محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري الحديث، ص287.

2 - محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج1، ص 158.

3- نفسه ج1ص160.

يقول رمضان حمود: [1]

أُعَانِقُ الحَقَ في قَوْلٍ وَفي عَـمَلٍ وَأُنْهِضُ القَوْمَ إِنْ مَالُوا إِلَى كَسَلِ
فلَا أُدَاهِنُ قَوْمِي إِنْ هُـمْ اقْتَرَفُوا ذَنْبًا يُلابِسُ وَجْهَ الحَقِّ بِـالخَـجَلِ
ولَا أَعِيشُ بِأَرْضِ الذُّلِ مُكْتَئِبًا فَالـذُّلُ منْ شِيمَة الأَنْذَالِ والسفَلِ
وأَبْذِلُ النَّفْسَ فِي سُبُل الحيَاة فِدًى "ولَا أَعُولُ فِي الدُّنْيَـا عَلَـى رَجُـلِ"

فالأفعال (أعانق الحق، أنهض، لا أداهن، لا أعيش ذليلا، أبذل النفس، لا أعول على رجل أي لا أتّكل) أفعال كلامية تندرج ضمن الوعديات؛ لأنّ الشّاعر يلزم نفسه القيام بتلك الأمور، فالشاعر ينجز فعل العزم أو النية...

2-4 السلوكياتComportatifs: والهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير، مثل الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم والتحدي.

يقولالأمين العمودي: [2]

الشُّكْرُ للنُّعْمَى يُوفِرُهَا وَمِنْ أَسْبَابِ سَلْبِ النِّعْمَةِ الكُفْرِ

وهو فعل سلوكي قائم على الشكر، لأنه تعبير عن حالة النفسية، ويقول ابن رحمون: [3]

يَا مَنْ يُعَاتِبُنِي فِي الحُبِّ مَعْذِرَةً الحُبُّ والشِّعْرُ فِي المَعْنَى شَقِيقَانِ
إِنْ كانَ مَعْنَاهُمَا اللَّفْظِيُّ مُخْتَلِفًا فَإِنَّ مَعْنَاهُمَا الـرُّوحِيُّ وَحْـدَانِي
كِلا الشَّقِيقَيْنِ فِي القَلْبِ مَضْجَعُهُ إِلا إِذَا افْتَرَقَا فِي بَعْضِ أَحْـيَانِ
الحُبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي القَلْبِ مَنْبَعُهُ فـإِنَّـه مَحْـضُ تـقْلِيدٍ وبُهْتَان

حيث تتضح الأفعال السلوكية في تقديم الاعتذار: معذرة، ويحرِّك هذا المعنى -وفق المبتغى التداولي- قصدٌ خفي، فهو تعبير عن حالة نفسية لا يصرح بها الشاعر، والمرجح أنه لا يريد حقا الاعتذار لمن يعاتبه في الحب؛ بل

1 - محمد ناصر: حمود رمضان، حياته ومآثره، ص167.
2 - صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث (الملحق)ص103.
3- ديوان ابن رحمون ص120.

يستوقفه نظرا لكونه لا يبين اعترافا بخطأِ حبه؛ بل يبين لمخاطبه حقيقة الحب، لأنه شاعر لا يمكنه أن يتخلى عن شعره، هو كذلك محب لا يستطيع التخلي عن حبه، ويجعل للشعر والحب معنى واحدا حتى وان اختلفا لفظا، فمنبعهما القلب.

ومن الصعوبة القيام بعملية تصنيفية دقيقة وصارمة لأفعال الكلام في الشعر لكونه قائم على«طابع الاحتمالية المطردة، المفتوحة في الخطابات الشعرية عموما، والخطاب الشعري الحداثي على وجه التحديد، ويعود انفتاح البنية على ضروب من التوجيه، وأنواع من التأويل فيما نحسب، إلى ميزة اللعب باللغة في حيز الخطاب الشعري»[1]. ذلك أن المعاني في الشعر قد تتخفى وراء المجاز بعيدا عن اللفظ، مما يجعلها تنفتح على معاني كثيرة، وقراءات عديدة، وهذا يُعد إشكالا في المقاربة التداولية للخطاب الشعري.

2-5- العرضيات: Expositifs: وتسمى كذلك "بالتفسيريات" والهدف منها الحجاج والنقاش والتبرير، وتختص بعرض مفاهيم منفصلة مثل: التأكيد، والنفي، والوصف، والإصلاح...[2] وهذه الأفعال «أصعب الأصناف الكلامية تعريفا ولكنها عموما تبين كيف أنّ العبارات المنطوق بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش، كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ. وبوجه عام يصلح هذا الصنف لطريقة الوصف والعرض»[3]. يقولرمضان حمود[4]:

لن يَنَالَ العِزُّ شَعْبٌ كالجَمَادِ فَقَدَ الإِحْسَاسَ خَالٍ مِنْ شُعُورِ

1- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة ردمك ، ط1، 2009 ص93

2- ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007. ص62.

3- صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993 ص223.

4 - محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص355.

لنْ يَنَالَ المَجْدُ شَعْبٌ بالرُّقَادِ يَتْرُك اللُّـبَّ ويُعـنَى بالقُشُورِ
إِنَّمَا المَجْدُ قَرِينٌ بِالجِهَادِ وَوِئَـامٌ وثَبَاتٌ فِي الظّـُهُـورِ

في هذه الأبيات أفعال كلامية عرضية لكونها تنفي وتؤكد وتفسر، فقد استخدم الشاعر النفي وهو«أسلوب نقض وإنكار؛ يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأً؛ مما اقتضاه أن سعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي»[1]، ومن هنا فكل قول يأتي منفيا يكون حجة لإقناع المتلقي، فللنفي دور حجاجي في عرض معطيات الحجاج فهو حسب بيرلمانPerelman «هو ردّ على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير»[2]. لهذا يعدُّ من حجج القصد التلميحي، حين يقصد المخاطب تقرير حججه بالتلميح، فيثبت الشاعر اقتران المجد بالجهاد، وينفي نيل العز والمجد بالنوم والجمود.

والغاية من الأفعال الإيضاحية (العرضيات أو التفسيريات) هي الحجاج والنقاش، فهذه الأفعال الإنجازية تهدف إلى الدفع إلى العمل، وتوجيه فعل المتلقي إما لفعل الشيء أو تركه. ويظهر نجاحها أو فشلها في إقناع المتلقي من خلال الفعل التأثيري الذي تؤديه ويفسره السياق الذي وردت فيه. «ويكتسي العرض المقدم من طرف فعل كلام قوة دفع الغير إلى الالتزام؛ حيث يضمن المتكلم صاحب ادعاء الصلاحية بصدق إمكانية الالتزام عند الحاجة بهذا الإدعاء بهذا الادّعاء ويقدم مبررات وافية لذلك»[3]. فعبر أفعال الكلام العرضية إقرار صدق الادعاء القابل للنقد والموضوع من أجل النقاش،

1 - مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص246.

2 -عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر المغرب ط1، 2011، ص37.

3 - جاكوبسون مونان ميكي هابرماس، التواصل نظريات ومقاربات، تصدير عبد الكريم ترجمة عز الدين خطابي، زهور حوتي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 1428-2007م، ص129.

حيث يتخذ المتكلم موقفا عند الحديث عبر الحجاج، مثل أجيب، أعارض، أوضح، أفترض، أناقش...

ويمكن تلخيص تصنيف أوستين"Austin كما يلي «إنّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإلزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات»[1].

يبدو تصنيف "أوستين" Austin مفتوحا ومرنا، لذلك حاول"سيرل" "Searle" تطوير نظرية أفعال الكلام عند أوستين Austin واقتراح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية.

وتتضح الأدوات اللسانية التي تستعمل لغرض حجاجي إقناعي على مستويين:

على مستوى أفعال الكلام المتداولة في الحجاج، هناك أفعال الكلام العرضية وفق أوستينAustin 1962 أو ما يسمى بالتوضيحيات أو الأفعال التفسيرية لعرض مفاهيم وبسط موضوع وتوضيح استعمال الكلمات وضبط مراجع مثال: أكدّ، أنكر، أجاب، اعترض، وهب... [2]

وعلى مستوى السياق هناك أدوات وتعابير وصيغ تضفي السمة الحجاجية على قول ما، ما يجعل الحجاج يكون ضمنيا أو صريحا، وهكذا نجد «تعابير إنجازية موجهة إلى ربط قول ما ببقية الخطاب، وبكل السياق المحيط، من هنا نعثر على أجيب؛ استنبط؛ أستخلص؛ أعترض... وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة، وأحيانا بالأقوال اللاحقة، إذ إن هذه الأقوال

1- صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993، ص224.

2 - فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ص83.

تأكيدية عامة وهناك مستوى آخر يظهر فيه ارتباط الخطاب الحجاجي بالبعد التداولي»[1]، فالأفعال التوضيحية لها دور حجاجي كونها تعرض المفهوم وتوضحه، أو تأكيد قضية معينة، كما تربط الأقوال السابقة باللاحقة، وقد يكون الحجاج فيها ضمنيا وصريحا.

ألقى البحث الضوء على خطابات شعرية (من الشعر الجزائري الحديث) طامحا إلى تحديد البعد الحجاجي للفعل الكلامي حسب تصنيف أوستين، فوجدنا أن الشاعر في حجاجيته يحاول إقناع مخاطبه وتوجيهه لأجل تعديل رأيه وإصلاحه أو تغيير سلوكه أو استنهاضه ودفعه إلى إنجاز فعل معين.

كشَفَ تحليل حجاجية الأفعال الكلامية في الشعر الجزائري الحديث عن جملة من المقتضيات والاستلزامات، من أجل توجيه الخطاب الوجهة التي يريدها الشاعر. ولنجاح الفعل الحجاجي الشعري كان الشاعر يلجأ إلى المراوغة والاستمالة النفسية باستعمال أسلوب الصديق الحميم، واختيار الإحالة الضميرية (نحن) قصد تغليب الأنا الجمعية، مما يسهم في توليد الشعور بمتانة العلاقة بين الشاعر ومتلقيه. فكان مراعيا لظروف المتلقي واستعداداته -كونه يخاطب مجتمعا طغت عليه الأمية بسبب الاستعمار الذي كان يهدف إلى القضاء على اللغة العربية وطمس الشخصية الجزائرية- فكانت أهداف الشاعر حجاجية متمثلة في النصح والإرشاد والإصلاح، وهذا يدلّ على أنه كان حريصا على نجاح أفعاله الكلامية وتحقيق التأثير المطلوب.

أكثر الشاعر الجزائري من الأفعال التوجيهية والعرضية، والتي تكمن حجاجيتها في أغراض الوعظ والإصلاح وتغيير سلوك المتلقي وموقفه، ودفعه إلى العمل.

1- نفسه ص 86.

- المصادر والمراجع

[1] أحمد اتزكنرمت: الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتّى بن يونس، ضمن كتاب: الحجاج والاستدلال الحجاجي إشراف حافظ إسماعيلي علوي.، دار: ورد الأردنية للنشر والتوزيع ط1، 2011.

2- براون ويول: تحليل الخطاب: ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود 1418ه.

[3] بول ريكور: نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2006/2

4- جاكوبسون مونان ميبكي هابرماس، التواصل نظريات ومقاربات، تصدير عبد الكريم ترجمة عز الدين خطابي، زهور حوتي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 1428-2007م.

5- جورج مولينيه: الأسلوبية ترجمة بسام بركة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1427ه-2006، ط2.

6- جون لانكشو أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991

[7] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.

8- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005،

9- ديوان ابن رحمون: شعراء الجزائر مركب مطبعة الرغاية الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980،

10- ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر...

11- شكري مبخوت: نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم

12- صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، الإصدار الأول 2008، دمشق.

13- صابر حباشة: من إشكاليات تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص حجاجية المفردة القرآنية نموذجا ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4.

14- صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993.

15- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

16- طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت 1994.
17- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ميسكيلياني للنشر المغرب ط1، 2011.
18- عبد الملك مرتاض: تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته العدد العاشر، مركز البحث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر 2005.
19- علي محمود حجى الصراف: في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب القاهرة 1431ه-2010م ط1.
20- عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 1430ه-2003،.
21- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط 1986.
22- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007...
23- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه وعلق عليه ومهّد له: سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 1425-2005 القاهرة.
24- محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، إعداد وتقديم عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ج1 ط2، الجزائر 2007.
25- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلد28، العدد3، يناير، مارس 2000،.
26- محمد سالم ولد محمد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة،، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس 2004، ط1.
27- محمد صالح الجابري: الأدب الجزائري الحديث. دار الجيل بيروت، ط1، 2005م، 1426ه.
28- محمد ناصر: حمود رمضان حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب.
29- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر2002،.
30- محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي،، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، تقديم د. مسعود صحراوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن ط1، 2012.

31- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي دار الطليعة للطباعة والنشر)...
32- مسعود صحراوي: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1-1432-2011.
33- مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي بيروت لبنان، ط2-1424-2003.
34- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة ردمك، ط1، 2009
35- هواري بلقندوز "التداوليات النصية مقاربة في فهم الخطاب وتأويله" إشراف د/ أحمد يوسف أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2009-2010.
36- يوسف السيساوي، المقاربة التداولية للإحالة ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 1432ه-2011،.
الموقع الالكتروني:
- أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة مجلة المنارة، الصفحة الثقافية الثلاثاء 5 ديسمبر http: //www. almanarah. com

المراجع باللغة الأجنبية

1. Ancombre (J. C.) et Ducrot (o.): L'argumentation dans la langue, Ducrot ; les mot du discours.
2. F. Récanati: La transparence et l'énonciation, Edition du seuil, Paris (1979)
3. J. L Austin ; Quand dise c'est faire, introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970,
4. Jaque Moeshler –Antonie Auchlin, Introduction à linguistique Contemporaine, Deuxième édition, Armande Colin/ Her –Paris 1997 -2000,
5. Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire, principes de sémantique linguistique, édition HERMANN, 2ème édition, Paris (1980).
6. Oswald Ducrot, Le dire et le dit, édition de minuit, Paris (1984...
7. Patrick charaudeau. Dominique Maingueneuv. Dictionnaire Analyse du discoure édition du seuil, Février 2002 Paris, VIème